☩ دير الشهيدة دميانة للراهبات بالبراري

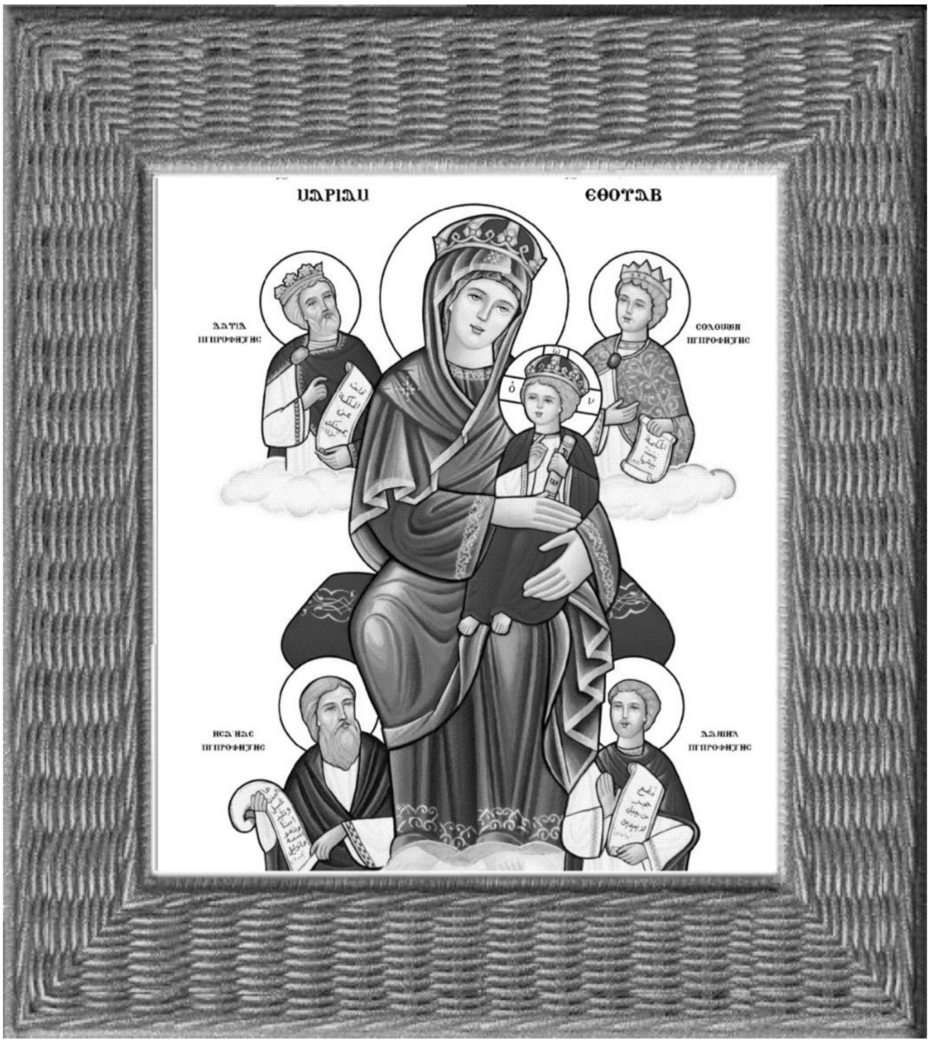

كَلَّمَنَا فِي ابْنِهِ

بقلم

الأنبا بيشوي

مطران دمياط وكفر الشيخ والبراري

ورئيس دير القديسة دميانة ببراري بلقاس

الكتاب: **كَلَّمَنَا فِي ابْنِهِ**
المؤلف: نيافة الأنبا بيشوي مطران دمياط وكفر الشيخ والبراري
ورئيس دير القديسة دميانة ببراري بلقاس
الناشر: مطرانية دمياط وكفر الشيخ والبراري
الجمع بالكمبيوتر: راهبات دير القديسة دميانة
الغلاف: تصميم راهبات دير القديسة دميانة
المطبعة: بريما جرافيك للطباعة والتوريدات ٠٢٢٧٧٨٧١٣١
رقم الإيداع:
يطلب من دير القديسة دميانة بالبرارى، تليفونات رقم:
٢٨٨٠٢١٨(٠٥٠)، ٢٨٨٠٠٣٤(٠٥٠)، ٢٨٨٠٠٠٧(٠٥٠)،
٢٨٨٠٧٦٣(٠٥٠)، ٢٨٨٠٦٧٩(٠٥٠)، ٢٨٨١١٤١(٠٥٠)،
٤١١١١٣٥(٠١٢٨)، ٨٨٨١٣٣٩(٠١٢٨)،٦٨٨٨٨٥٣(٠١١٤)
فاكس : ٢٨٨٠٠٠٨(٠٥٠) مع تسجيل رسائل.
بريد إلكتروني email: demiana@demiana.org
email: demiana8@demiana.org
يطلب أيضًا من:
مقر الدير بالقاهرة ت: ٢٦٨٤٧٠١٤(٠٢)، ٢٦٨٤٢٤٠٠(٠٢)
ومقر الدير بالإسكندرية ت: ٥٥٦٩٣٨٩(٠٣)

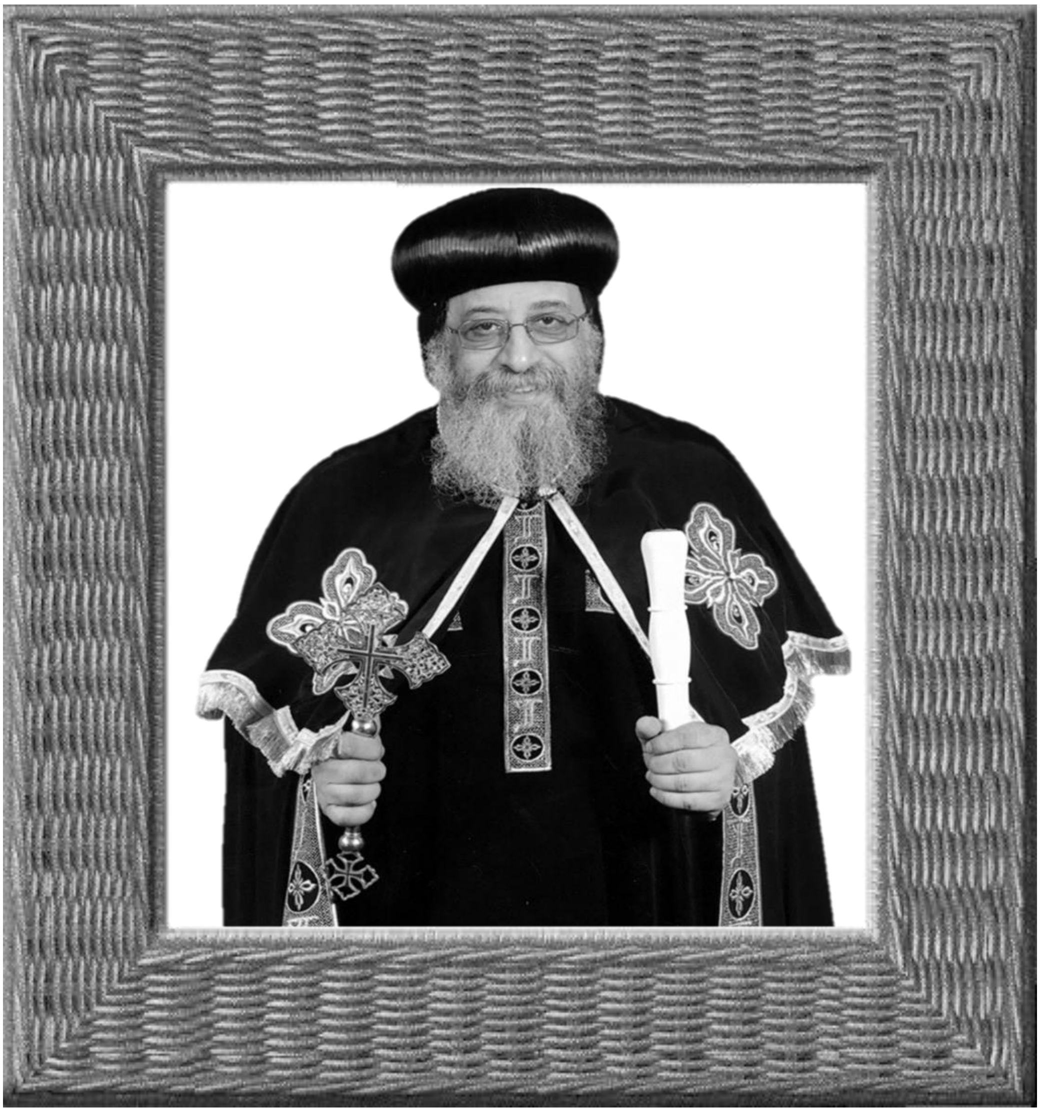

صاحب الغبطة والقداسة البابا المعظم

الأنبا تواضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة

المرقسية الـ ١١٨

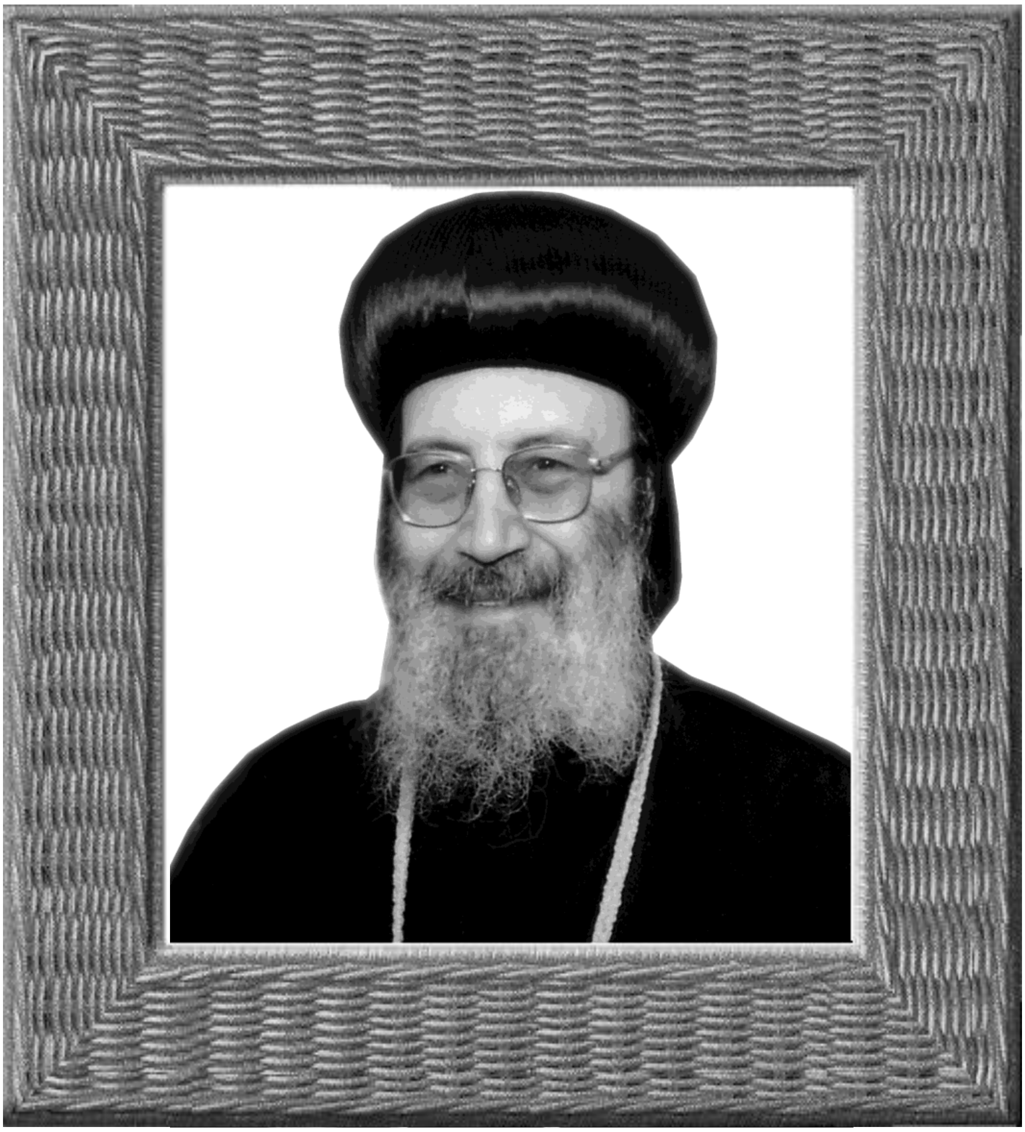

نيافة الحَبر الجليل الأنبا بيشوي
مطران دمياط وكفر الشيخ والبراري
ورئيس دير القديسة دميانة
ببراري بلقاس

مقدمة

كتب معلمنا بولس الرسول إلى العبرانيين قائلاً: "**اَللهُ**، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الآبَاءَ بِالأَنْبِيَاءِ قَدِيماً، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، **كَلَّمَنَا فِي هَذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ** الَّذِي جَعَلَهُ وَارِثاً لِكُلِّ شَيْءٍ...." **(عب١: ١-٣)**.

هذه الآيات كتبها معلمنا بولس الرسول عن بنوة السيد المسيح لله الآب، وعن كونه هو أقنوم الكلمة الإلهي الذي أعلن الله صورته فيه، في ملء الزمان حينما ظهر في الجسد "**اَللهُ..... كَلَّمَنَا فِي هَذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ**" عبارة جميلة جدًا، عندما نعيش معانيها، الله لم يتكلم مع سائر البشر مباشرةً إنما أرسل لهم الأنبياء، ليعلن لهم وصاياه، ويعرفهم مشيئته، أو ينذرهم بشيء معين، أو يتنبأ النبي عن شيء ما سيحدث فيما بعد. فكان الإنسان دائمًا يشعر أن هناك وسيطًا بينه وبين الله، لا يقدر أن يتكلم مع الله مباشرةً، مثلما قال الشعب لموسى النبى "تَكَلَّمْ أَنْتَ مَعَنَا فَنَسْمَعَ. وَلاَ يَتَكَلَّمْ مَعَنَا اللهُ لِئَلاَّ نَمُوتَ" (خر٢٠: ١٩). فإذا أراد إنسان أن يكلم الله؛ يكلمه عن طريق الأنبياء،

وإذا أراد أن يسأله عن شيء ما فيسأله عن طريق الأنبياء، وإذا أراد أن يعرف ما

يجيبه به الله أو يأخذ منه رسالة، فيكون ذلك عن طريق الأنبياء، وإذا أراد الله أن يكلم الإنسان يكلمه بالأنبياء. طبعًا وجود الأنبياء لم يكن ضارًا بل كان نافعًا، وحتى إن وُجد حاليًا أنبياء بمعنى روحي مثل القديسين أو أصحاب موهبة من الروح القدس مثلاً في وسطنا، فهذا لا يبعدنا عن الله بل يزيدنا قربًا منه. لكن المشكلة أن الوسيلة الوحيدة التي يقدر الإنسان أن يتصل عن طريقها بالله قديمًا كانت عن طريق الأنبياء فقط. كلّمهم بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ ومتنوعة. ولكن لما جاء ملء الزمان "كَلَّمَنَا.. فِي ابْنِهِ". لم يأخذ الابن صورة الأنبياء، أي أنه أصبح وسيطًا بين الله والناس فى التخاطب بالمفهوم القديم، ولكنه أصبح يمثل حضرة إلهية شخصية في وسط الناس. ولذلك سُمي عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا. **كلّمنا في ابنه**.. لقد صار الله ناطقًا دون وساطة بينه وبين الناس، أي أنه ليس في احتياج أن يرسل لنا مرسال، بل جاء يكلّمنا فى ابنه الذي هو

الله الكلمة، لكي ما يعطينا قوة الدالة أننا أيضًا نكلمه ونشعر بوجوده في حياتنا.

الرب يعطينا أن نستقبل عيد الميلاد بما يليق به وأن نصدّق أن الله يحبنا، وأن الله الكلمة تجسد وصنع الفداء لأجلنا، ونقدم له المجد والتسبيح لأن هذا كان إعلان الملائكة في ليلة الميلاد وهي تسبح الثالوث القدوس: «الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الأَعَالِي وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ» (لو٢: ١٤).

نسأل الرب أن يجعل من هذا الكتاب سبب منفعة لكثيرين بصلوات **صاحب القداسة البابا تواضروس الثاني** أطال الرب حياته وأدام رعايته.

عيد الميلاد المجيد

٧ يناير ٢٠١٧م **مطران دمياط وكفر الشيخ والبراري**

ورئيس دير القديسة دميانة ببراري بلقاس

كان الله يكلمنا بطرق وأنواع شتى

استخدم الله وسائل كثيرة في العهد القديم ليتكلم بها مع الناس، كتب معلمنا بولس الرسول إلى العبرانيين قائلاً: "**اَللهُ، بَعْدَ مَا** كَلَّمَ الآبَاءَ بِالأَنْبِيَاءِ قَدِيماً، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هَذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ الَّذِي جَعَلَهُ وَارِثاً لِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي بِهِ أَيْضاً عَمِلَ الْعَالَمِينَ. الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ أقنومه، وَحَامِلٌ كُلَّ الأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ، بَعْدَ مَا صَنَعَ بِنَفْسِهِ تَطْهِيراً لِخَطَايَانَا، جَلَسَ فِي يَمِينِ الْعَظَمَةِ فِي الأَعَالِي، صَائِراً أَعْظَمَ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ بِمِقْدَارِ مَا وَرِثَ اسماً أَفْضَلَ مِنْهُمْ. لأَنَّهُ لِمَنْ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ قَالَ قَطُّ: «أَنْتَ ابْنِي أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ»؟ وَأَيْضًا: «أَنَا أَكُونُ لَهُ أَباً وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ابْناً»؟" (عب١: ١-٥).

إن أحد أسباب قوة المسيحية هو استنادها إلى عديد من الرموز والنبوات الواضحة التي تَحققَت في مجيء السيد المسيح، والتي مازالت محفوظة إلى يومنا هذا في أيدي اليهود الذين رفضوا السيد المسيح.

ظَهَرَ اللّه لإبراهيم "وَهُوَ فِي مَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ قَبْلَمَا سَكَنَ فِي حَارَانَ وَقَالَ لَهُ: اخْرُجْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَهَلُمَّ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ" (أع٧: ٢). وظهر له مع ملاكين وهو جالس عند باب الخيمة "فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا ثَلاَثَةُ رِجَالٍ وَاقِفُونَ لَدَيْهِ" (تك١٨: ٢)، كلم الله موسى من عُليقة مشتعلة بالنار، في وقت لم يكن يتوقعه ناداه الله من وسط العُليقة في البرية، وكلم الله موسى أيضًا فوق جبل حوريب، حينما صام أربعين يومًا وأربعين ليلة وأخذ الوصايا المكتوبة بأصبع الله، وقد ورد في العهد القديم كثيرًا أن الله كان يكلّم موسى النبي من فوق غطاء تابوت العهد بين الكاروبَين الذهبيَين في قدس الأقداس في خيمة الاجتماع.

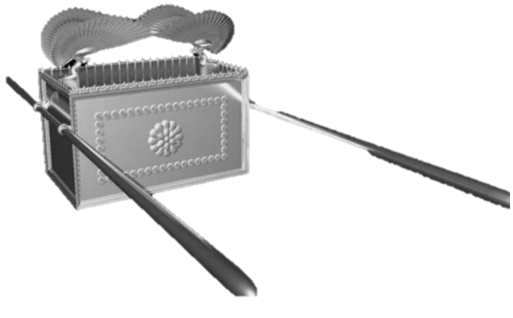

ولكن تابوت العهد كان رمزًا للسيد المسيح.. وبداخل التابوت عصا هارون التي أفرخت بدون زرع ولا سقي. وهي ترمز إلى ميلاده من العذراء القديسة مريم

بدون زرع بشر، وكان به قسط المن رمزًا للخبز السماوي الذي هو جسد السيد المسيح، وكان به لوحي الشريعة وعليهما الوصايا الإلهية التي ترمز إلى السيد المسيح كلمة الله. كان الله يحل بمجده مع شعبه في خيمة الاجتماع وفي هيكل أورشليم كرمز للسيد المسيح. ولكن لم تُطلق عبارة "اللهُ مَعَنَا" (مت١: ٢٣) على شخص من البشر إلى أن تجسد الله الكلمة في ملء الزمان من العذراء مريم. لهذا قال إشعياء النبي "هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ" لأنه لم يُسمع منذ الدهر أن عذراء قد حَبلَت. وكان الأعجب عندما أشار إلى أن الابن المولود منها هو "الله معنا". ولكن هكذا نطق الروح القدس بفم إشعياء النبي..

لقد انتظرَتْ البشرية طويلاً ولمدة آلاف من السنين أن يتدخل الرب لإتمام الفداء. لهذا قال أب الآباء يعقوب على فراشه قرب موته: "لِخَلاَصِكَ انْتَظَرْتُ يَا رَبُّ" (تك٤٩: ١٨). فبالرغم من أن السيد المسيح قد ظهر له، وصارعه طوال الليل، وباركه، وأعطاه اسمًا جديدًا (انظر تك٣٢: ٢٤-٢٨)؛ إلاَّ أن ذلك لم

يكن تجسدًا للابن الوحيد بل ظهورًا فقط ولم يتحقق الفداء بواسطة هذا الظهور.

تكلم الله بأنواع وطرق كثيرة، فعندما ظهر ليشوع بن نون ظهر له على هيئة رئيس جند الرب وتكلم معه بصورة نورانية عظيمة، وكلّم إيليا النبي في جبل حوريب أيضًا في نسمات رقيقة، المرة التي بدأ الله يظهر فيها للشعب بصفة عامة جاء على الجبل وكان الجبل يرعد ويدخن رعود وبروق ودخان وزلزلة. فارتعب الشعب، وقالوا لموسى: "تَكَلَّمْ أَنْتَ مَعَنَا فَنَسْمَعَ. وَلاَ يَتَكَلَّمْ مَعَنَا اللهُ لِئَلاَّ نَمُوتَ" (خر٢٠: ١٩) قالوا له نحن نخاف من الله، تكلم أنت معه وقُل لنا ونحن مستعدون أن نسمع كل ما تقوله لأننا لا نستطيع أن نحتمل الكلام مع الله... لهذا قال بولس الرسول إن الله "**كَلَّمَ الآبَاءَ بِالأَنْبِيَاءِ قَدِيماً**" (**عب١: ١**).

قوة الكلمة

الكلمة عمومًا في مفهومها العام هي خروج من العقل، تحمل قوة المتكلِم وتعبِّر عن إرادته وعن فكره. ولكن أيضًا لابد أن تحمل طبيعة السامع. لكي تكون الكلمة مؤثرة لابد أن تحمل قوة المتكلم ولكن تكون باللغة التي يعرفها المستمع. هذه هي منفعة اللغة أن المستمع يفهم ما يسمعه، وإلاَّ يصير المستمع أعجمي عند المتكلم. فكلام الله كان يحمل ويعبِّر عن قوة الله، ويعبِّر عن إرادته الإلهية، ولكن لكي تكون الكلمات مقبولة في حياتنا لابد أن تناسب طبيعتنا. ولذلك فإن الطُرق والصور المتنوعة التي تكلمنا عنها، والأساليب المختلفة لحديث الله مع البشر سواء من وسط الغمام، أو من وسط السحاب، أو في وسط الرياح، أو في وسط الزلزال، أو في نار مشتعلة في عليقة، أو من فوق غطاء التابوت، أو في رؤيا، أو في حلم، هذه كلها كانت مقدمات للكلام المباشر بين الله والإنسان حينما تجسد الله الكلمة نفسه كما يقول معلمنا بولس الرسول: "**كَلَّمَنَا فِي هَذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ**" (عب١: ٢).

إذًا الكلمة هو الله الابن، وقد حل بيننا متكلمًا في جسدٍ ظاهرٍ، ولذلك الرسول يوحنا الإنجيلي يقول: "**وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ**

بَيْنَنَا وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ مَجْداً كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ مَمْلُوءاً نِعْمَةً وَحَقّاً" (يو ١: ١٤).

في القديم قال الله أنا قدوس "فَتَكُونُونَ قِدِّيسِينَ لأَنِّي أَنَا قُدُّوسٌ" (لا١١: ٤٥)، والآن رأيناه بعيوننا، سمعناه ولمسته أيدينا "اَلَّذِي كَانَ مِنَ الْبَدْءِ، الَّذِي سَمِعْنَاهُ، الَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا، الَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا، مِنْ جِهَةِ كَلِمَةِ الْحَيَاةِ. فَإِنَّ الْحَيَاةَ أُظْهِرَتْ، وَقَدْ رَأَيْنَا وَنَشْهَدُ وَنُخْبِرُكُمْ بِالْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَ الآبِ وَأُظْهِرَتْ لَنَا" (١يو ١: ١، ٢).

هكذا أحب

قديمًا قال الله إني أحب بني البشر... فقال في سفر إشعياء النبي: "اذْ صِرْتَ عَزِيزاً فِي عَيْنَيَّ مُكَرَّماً وَأَنَا قَدْ أَحْبَبْتُكَ" (إش٤٣: ٤) وقال في موضع آخر "مَحَبَّةً أَبَدِيَّةً أَحْبَبْتُكِ" (إر٣١: ٣) و"أَحْبَبْتُكُمْ قَالَ الرَّبُّ" (ملا١: ٢) وأيضًا "لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ قَدْ أَحَبَّكَ" (تث ٢٣: ٥)، و"لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَحَبَّ شَعْبَهُ " (٢اخبار ٢: ١١)، .....

وجاء السيد المسيح الله الكلمة المتجسد بدون أن يقولها بلسانه فقط بل كانت أعماله واضحة تدل على محبة الله للبشر، ولذلك

نسميه مُحب البشر الصالح (Ⲡⲓⲙⲁⲓⲣⲱⲙⲓ ⲛ̀ⲁ̀ⲅⲁⲑⲟⲥ) فالسيد المسيح تعاليمه الكلامية كانت مطابقة لأعماله المُخلِّصة والمُحيية والمملوءة محبة التي كان يصنعها.

هو نفسه رسالة من الله إلى الإنسان، جاء لكي يرفع بصيرة الإنسان نحو السماويات، ولكي يعيد له الصورة التي خلق عليها. يرفع قلوبنا إلى كل ما هو سمائي ويحوّل البشر بتعاليمه ليتشبهوا بالملائكة وهم يحيون على الأرض،

أظن أنه لا يوجد دليل على الحب أعظم مما قاله السيد المسيح نفسه: "لَيْسَ لأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لأَجْلِ أَحِبَّائِهِ" (يو١٥: ١٣)

فأنا قد وضعتُ نفسي من أجلكم للموت، هنا المحبة تتكلم عن نفسها. المحبة الحقيقية هي التي تفرح بأن تعطي أكثر مما تفرح بأن تأخذ.

يمكن أن يقول إنسان لآخر: أنا أحبك؛ أما بالنسبة للأُم قد لا تحتاج أن تقول مثل هذه الكلمة. لأن الابن يشعر بمحبتها تلقائيًا. محبة الأم التي يتغنى بها كل الناس ويعتبرونها مضرب الأمثال. وخصصوا لها عيدًا لأجل أن يتغنوا بهذه المحبة الفائقة. ولسنا في احتياج أن نتكلم عن محبة الأُم لأن كل منّا قد ذاقها واختبرها عمليًا في حياته. كل ما تحتاج إليه لكي

تعرف ما هي محبة الأُم أنك تستعرض أعمالها معك، وليس أكثر من هذا. والأعمال هي نفسها تشهد وتتكلم. هكذا نرى حُب الله واضحًا ظاهرًا جليًا فيما صنعه من أجلنا. طول أناته كانت واضحة في وداعته، في لطفه، في احتماله للخطاة، في طهارته، في قداسته، في بره، في صلاحه... حتى قوته الإلهية. رآه التلاميذ وهو يمشي على المياه، وهو ينتهر البحر والريح، وهو يعطي نظرًا للمولود أعمى، وهو يقيم الموتى من القبور، وهو يعطي قوة وشفاءً للمفلوجين، وطهرًا للبرص، ولجميع الأمراض. يعطي خبزًا للجائعين، يكسر الخبز فيكثُر بين يديه حتى يُشبع الآلاف. رأوا أبوة الله، ومحبة الله، وحنانه، وعنايته، ورعايته، وسهره، عندما رأى الجموع منطرحة تَحَنَّنَ عَلَيْهِمْ إِذْ كَانُوا مُنْزَعِجِينَ وَمُنْطَرِحِينَ كَغَنَمٍ لاَ رَاعِيَ لَهَا وشفى مرضاهم (انظر مت ٩: ٣٦)، إذن نحن غير محتاجين أن نتخيل مَن هو الله، لأننا قد رأينا الله في وسطنا. ورأينا مجده كما لوحيد من الآب. كل ما نحتاج أن نراه من صفات الله رأيناه

في السيد المسيح. سواء في محبته أو اتضاعه، أو في قداسته، أو في قوته وقدرته واقتداره. وكان أعظم إعلان للقوة حينما انتصر على الموت وداسه وقام منتصرًا من الأموات وصعد إلى السموات "وجَلَسَ فِي يَمِينِ عَرْشِ الْعَظَمَةِ فِي السَّمَاوَاتِ" (عب ٨: ١)، "جَلَسَ إِلَى الأَبَدِ عَنْ يَمِينِ اللهِ" (عب ١٠: ١٢)، ستقول إن الله أزلي وكيف نفهم هذه الصفة في ربنا يسوع المسيح؟ عندما جاء اليهود إليه قال لهم: "الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ" (يو٨: ٥٨). وعن قدريه الإلهية قال لليهود عن جسده: "انْقُضُوا هَذَا الْهَيْكَلَ وَفِي ثلاَثَةِ أَيَّامٍ أُقِيمُهُ" (يو٢: ١٩)، وقال ليوحنا الرسول في سفر الرؤيا: "لِي مَفَاتِيحُ الْهَاوِيَةِ وَالْمَوْتِ" (رؤ١: ١٨) وليس أحد له مفاتيح الهاوية والموت ويستطيع أن يقوم بقوته الإلهية من الأموات إلاَّ الله وحده. وقد تمّ ما قال عنه وقام دون أن يقيمه أحد.

كل الأموات الذين قاموا في العهد القديم قاموا لأن آخر نادى لهم بالقيامة، مثل إيليا الذي أقام ابن أرملة صرفة صيدا "فَتَمَدَّدَ

عَلَى الْوَلَدِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، وَصَرَخَ إِلَى الرَّبِّ: يَا رَبُّ إِلَهِي، لِتَرْجِعْ نَفْسُ هَذَا الْوَلَدِ إِلَى جَوْفِهِ. فَسَمِعَ الرَّبُّ لِصَوْتِ إِيلِيَّا، فَرَجَعَتْ نَفْسُ الْوَلَدِ إِلَى جَوْفِهِ فَعَاشَ" (١مل١٧: ٢١، ٢٢). وهكذا أليشع أقام ابن المرأة الشونمية (انظر ٢مل٤: ٣١-٣٥).

إنما السيد المسيح لمْ يقِمه أحد ولكنه قام بقوته الإلهية التي هي نفس قوة الآب وقوة الروح القدس.

لذلك من أقوى الأدلة على لاهوت السيد المسيح أنه قام من الأموات دون وسيط آخر يقيمه.

لَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الْخَلاَصُ

استعمل الله في العهد القديم كل الوسائل واستنفذ كل الأنواع، ظهر بطرق كثيرة وتكلم بطرق كثيرة وأرسل أنبياء بطرق كثيرة: أرسل نبيًا عظيمًا مثل موسى قائد عظيم ولم يقدر أن يُخلِّص.. أرسل نبيًا قويًا غيورًا كالعاصفة النارية مثل إيليا وأيضًا لم يخلّص.. أرسل نبيًا صانعًا للمعجزات مثل أليشع ولم يقدر أن يخلّص.. أرسل إرميا الباكي صاحب المراثي والدموع الغزيرة، وأيضًا لم يخلّص.. أرسل إشعياء رجلاً من بيتٍ ملوكي شاعر،

أديب، مقتدر ولم يقدر أن يخلّص.. جعل الرب المَلِك نفسه نبيًا وهو داود الملك والنبي وأيضًا لم يخلِّص... إلخ. الضعف البشري كان يعمل في الكل أنبياءً ورعيةً، أحيانًا الفشل كان يأتي من قساوة الشعب وقياداته. وأحيانًا من ضعف الأنبياء. وأحياناً كان من ضعف الإرسالية أو عدم قبولها. ولم تنجح كل هذه الوسائل.

☜لماذا لم يصنع الله الخلاص بعد سقوط آدم مباشرةً؟ أراد الله أن يرينا أنه "لَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ **الْخَلاَصُ**" (اع٤: ١٢)، مهما كانت الوسائل لا توجد وسيلة ناجحة إلاَّ تجسد الكلمة وموته المحيي لأجلنا. وقد لا نصدق هذا، وربما نقول لماذا يأتي الله ويتعب ويتجسد ويصلب؟ من الممكن أن يرسل لنا من يُعرِّفنا طريق الخلاص، وسوف نسمع له. لماذا كل هذا التعب؟! قال أنا سأبدأ بأساليب "بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ"، وبعدما صنع الله كل هذا قال "مَاذَا يُصْنَعُ أَيْضاً لِكَرْمِي وَأَنَا لَمْ أَصْنَعْهُ لَهُ؟" (إش٥: ٤)، وهنا يقول الرب: ما هو الذي يمكن أن أعمله ولم أعمله كل الأنواع والأساليب والطرق استنفذتُها، أرسلتُ لكم أنبياءً مختلفة

نوعياتهم، وأعطيتهم قدرات روحية ومواهب ومعجزات، ها هو موسى النبي جعل الشعب يمشي في وسط بحر

عميق والمياه مرتفعة فيه، المياه تنفلق على الجانبين ويمشي في وسطها ٦٠٠,٠٠٠ رجلٍ من ما بين العشرين والستين في العمر، غير النساء والشيوخ والشباب والأطفال. ما يقرب من ٢مليون يمشون في وسط المياه على القاع ويصلون إلى الناحية الأخرى، وماذا كان بعد؟

صعد موسى النبي على الجبل ليستلم الوصايا والشريعة من الله، وقال الشعب لهارون اصنع لنا آلهة نعبدها "وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي النُّزُولِ مِنَ الْجَبَلِ اجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هَارُونَ وَقَالُوا لَهُ: «قُمِ اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا لأَنَّ هذَا مُوسَى الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ لاَ نَعْلَمُ مَاذَا

أَصَابَهُ». فَقَالَ لَهُمْ هَارُونُ: «انْزِعُوا أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَأْتُونِي بِهَا». فَنَزَعَ كُلُّ الشَّعْبِ أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِهِمْ وَأَتُوا بِهَا إِلَى هَارُونَ. فَأَخَذَ ذلِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَوَّرَهُ بِالإِزْمِيلِ وَصَنَعَهُ عِجْلاً مَسْبُوكاً. فَقَالُوا: «هذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ!»" (خر٣٢: ١-٤)... "أَيُّ شَيْءٍ يُمْكِنُ أَنْ يُصْنَعَ لِكَرْمِي لَمْ أَصْنَعْهُ؟" (اش٥: ٤)؟ مِنْ أجلكم ضربتُ المصريين عشرة ضربات، حولتُ نهر النيل إلى دم، امتلأت أرض مصر من الضفادع، وضربتُهم بالظلمة ثلاثة أيام لدرجة أن الإنسان كان لا يستطيع أن يرى أصبعه أمام عينيه في كل محلة المصريين، ورجمتُ المَزَارع والبهائم ببَّرد نزل من السماء، كُتل ثلج نازلة من السماء وأماتت كل البهائم في أرض مصر. وضربة الدمامل، وضربة البعوض، وضربة الذباب، لدرجة أن المصريين كرهوا معيشتهم بسبب تمسكهم بكم. وأخيرًا ضربتُ الأبكار، وأصعدتُكم بيد قوية وذراع رفيعة، ويمين ممدودة وانتشلتُكم من العبودية وأخرجتُكم لأجيء بكم لأرض الميعاد، وبعد كل هذا تصنعون عجلاً ذهبيًا وتقولون هذه آلهتك يا إسرائيل؟! لأجل محبتكم للذهب والمال والعالم، فالحب الذي في الداخل خرج وتجسد في شكل هذا

العجل، بدلاً من أن نقول وقتها "وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً" (يو ١: ١٤)... نقول ومحبة العالم صارت جسدًا مجسمًا في هذا العجل الذهبي الذي سجدتم له. أنتم لا تستطيعون أن تعبدوا إلهَين، إما الله أو العالم (المال)، فأنتم لمحبتكم للمال حينما غاب موسى عنكم قليلاً؛ فإن إلهكم الحقيقي ظهر وسط المحلة، وتجسد وأصبح حقيقة مجسمة يُقدَّم لها السجود. وظل الإنسان يزوغ من الله. يحاول الله بطرق شتى أن يصل إليه ولم يستطِع، ليس لعدم قدرة الله أو لتقصير منه؛ لأنه لم يقصر في شيء من جهة الإنسان، وحتى مغفرة الخطايا قال لهم سأعطيكم الذبائح فكل مَنْ يفعل خطية يذبح ذبيحة فتُنقل خطيته عنه كوعد عند إتمام الفداء. ولكنهم أحبوا العالم وأحبوا الخطية وماتوا في خطاياهم. لذلك كان يلزم تغيير جذري، أسلوب جديد، الأسلوب الأول لم ينفع، "اَللهُ، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الآبَاءَ بِالأَنْبِيَاءِ قَدِيماً، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ" وفشلَتْ جميع هذه الأنواع والطرق "**كَلَّمَنَا فِي هَذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ**" وهذه كانت الضربة القاضية التي دكتْ مملكة إبليس وأنهتْ سلطانه على الإنسان.

الإنسان فى سعيه لتحقيق ذاته وتحقيق وجوده يخرب نفسه..
وفى سعيه لتحقيق مشيئة اللَّه يحفظ نفسه لحياة أبدية.. اللَّه هو
مصدر الوجود، ومصدر الحياة.
وهو الذي "بِهِ نَحْيَا وَنَتَحَرَّكُ وَنُوجَدُ" (أع١٧: ٢٨). فلا معنى
للوجود بدون اللَّه، ولا معنى للحياة بدونه.

الله العارف كل شيء بسابق علمه يعلَم أن كل هذا سيحدث ولكن ليُظِهر لنا أنه ليس بأحد غيره الخلاص، لكي لا نقول له لماذا كل هذا التعب؟ يقول لنا قدمتُ نفسي ذبيحة من أجل خلاص العالم.

لماذا الْخَلاَصُ؟

ما السبب في أن طبيعة الإنسان كانت غير قابلة للإصلاح؟ لماذا الخلاص؟..... طبيعة ساقطة فاسدة، لأنه لما أكل آدم من شجرة معرفة الخير والشر صار مثل إنسان حدث له تسمم ودخل إليه المرض ودبَّ في جسده. فآدم وحواء أكلوا من معرفة الشر فدخل الشر في طبيعتهم، هذه الطبيعة ضَربَ فيها الدود، طبيعة فسدَتْ. والطبيعة التي أخطأَت لزم عليها الموت. وقد قال الله لآدم "وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا **مَوْتاً تَمُوتُ**" (تك٢: ١٧). لم يسر الله بأن يعاقب آدم إنما كان يحذره. نحن كثيرًا ما نفهم الله بغير حقيقته،

صدقوني الله لا يسر بأن يعاقب أحدًا، إنما الإنسان يحصد ثمرة ما يعمله، كيف؟ عندما تقول لابنك لا تجري لكي تعبر الشارع دون أن تلتفِت حولك لئلا تُصاب بضرر، هذا ليس تهديدًا ولكنه تحذير!! فإذا لم ينتبه للكلام وأصابه حادث لست أنت المتسبب، ولكن هو المتسبب في ذلك بعدم طاعته. لقد حذَّر الله آدم ولم يهدده، حين قال له يا آدم لا تأكل من الشجرة لئلا تموت، والدليل على ذلك إنه لمَّا أخطأَ آدم واختبأ في وسط الجنة بحث الرب عنه وقال له: "آدَمَ: "أَيْنَ أَنْتَ؟" (تك٣: ٩)... الله يبحث عن آدم حتى بعد سقوطه، وآدم هو الخائف والغير قادر أن يتقابل معه، لماذا؟ لأن الشر دخل إلى طبيعته ولا يمكن أن يلتقي الشر مع البر، لا يمكن أن تلتقي الظلمة مع النور، **الإنسان** الشرير لا يستطيع أن يلتقي مع **الله** لأنه لا يوجد شركة للنور مع الظلمة، فعندما دخل الشر في طبيعة آدم أصبح لا يحتمل التواجد مع الله، وهكذا لم يفرح الله أن يعاقب آدم، بل بالعكس جاء ليطمئن عليه ويقول له أين أنت يا آدم؟ فقال له: "سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ" فَقَالَ: "مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟ هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لاَ تَأْكُلَ مِنْهَا؟" (تك٣: ١٠، ١١) عتاب أبوي

رقيق. يا لخسارتك يا آدم، لقد أضعتَ نفسك، وفقدتَ رتبتك، وفقدتَ النعمة التي عشتَ فيها، وطبيعتك قد فسدَتْ، وأصبحَتْ لا تتفق مع طبيعة الله، وستبقى مطرودًا من قِبَل ذاتك؛ لأنك لا تستطيع أن تعيش في فردوس الله وأنت تحمل طبيعة الخطية، ولو أكل آدم من شجرة الحياة فسوف يحيا إلى الأبد في خطيته، والله لا يشاء أن يحيا آدم إلى الأبد في حالة الخطية "فَطَرَدَ الإِنْسَانَ وَأَقَامَ شَرْقِيَّ جَنَّةِ عَدْنٍ الْكَرُوبِيمَ وَلَهِيبَ سَيْفٍ مُتَقَلِّبٍ لِحِرَاسَةِ طَرِيقِ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ" (تك٣: ٢٤)... عندما طُرد آدم من الفردوس كان الله في نفس الوقت قد رسم خطة خلاصه، إذن فأين هي الرغبة في العقوبة؟ ولذلك القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات لما عاش في هذا المعنى وتأمل فيه بعمق قال في قداسه الإلهي: **(أنتَ يا سيدي حوّلتَ لي العقوبة خلاصًا كراعٍ صالح سعيتَ في طلب الضال كأب حقيقي تعبتَ معي أنا الذي سقط)**... نحن كثيرًا لا نفهم الله.... الله أب، ومحبته تفوق كل محبة الآباء، أب حقيقي، فالإنسان يُعاقَب من جهة أفعاله وبسبب خطيته. وأقصى عقوبة تنال الإنسان هو أن ينفصل عن مصدر حياته وهو الله، هل توجد عقوبة أشد من هذه أن يُحرم من الحياة؟ ولذلك قال الله لآدم "وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ

وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتاً تَمُوتُ" (تك٢: ١٧).

الوصية الإلهية هدفها خير الإنسان وحفظه من العطب والفساد الذي تسببه الخطية. كما أن هدفها هو تمجيد الإنسان ومكافأته على هذه الطاعة، مع ما تجلبه الطاعة
من خير وبركة وخلاص.

فعندما تدخل الخطية إلى حياته فسوف ينفصل عن الله، وانفصاله عن الله هو موت، ولكن آدم لم يسمع كلام الله.

فكلما زادت محبتنا لله كلما استطعنا تنفيذ الوصية.. وكلما استطعنا تنفيذ الوصية يُظهر لنا ذاته أكثر. وهذه هي العلاقة بين زيادة المحبة وزيادة المعرفة

والقديس غريغوريوس يقول في القداس الإلهي: (وخالفتُ ناموسك برأيِي وتكاسلتُ عن وصاياك، أنا اختطفتُ لي قضية الموت).... أنا اختطفتُها لنفسي، الإنسان بمخالفته للوصية المقدسة أخذ لنفسه قضية الموت. وبالرغم من أنه اختطفها لنفسه لكن الله لم يتركه، بل دبَّر له الخلاص بتجسد الكلمة وتحمله نتائج خطية الإنسان، فأوفىَ الدين الذي على البشرية

وناب عن الجميع في الموت لكي يحررهم منه، واستوفى العدل الإلهي حقه في إعلان قداسة الله كرافض للخطية.

ولسان حال الإنسان بعد الحُكم يقول مخاطبًا الله: أنا اختطفتُ لنفسي قضية الموت وتمّ فيَّ أنا الإنسان حُكم الموت، إنما حبك كان قويًا بحيث أنه لم يسمح للعدل أن يوجد وحده، ولكنك يا رب كنت رحيمًا في عدلك عادلاً في رحمتك، أنت تعرف يا رب أني أنا سقطتُ، وحزنتُ بسبب سقطتي فكيف تتركني؟ أنت يا رب اطّلعتَ على سقطتي وعلمتَ بحزني وضيقة نفسي وإني خسرتُ سعادتي التي كانت لي بوجودي معك، فكيف تتركني؟! متى يترك الله الإنسان ولا يقدر أن يُخلِّصه؟ عندما يخطئ ولا يعترف بخطيته؛ ولذلك لابد أن يطلب الإنسان من الله أن يخلِّصه من الخطية وأن يؤمن بعمل الله ومحبته كفادي ومخلّص.

الله لا يفرض وجوده في حياتنا.. ولكننا نحن المحتاجين إلى هذا الوجود. تمامًا مثلما لا يفرض الماء وجوده علينا.. بل نحن العطاشى المحتاجين إلى الماء لكي نحيا به.

يقول البابا أثناسيوس الرسولي:

[وإذ رأى الكلمة أن فساد البشرية لا يمكن أن يبطل إلاَّ بالموت كشرط لازم، وأنه مستحيل أن يتحمل الكلمة الموت لأنه غير مائت ولأنه ابن الآب، لهذا أخذ لنفسه جسدًا قابلاً للموت حتى باتحاده بالكلمة، الذي هو فوق الكل، يكون جديرًا أن يموت نيابة عن الكل، وحتى يبقى في عدم فساد بسبب الكلمة الذي أتى ليحل فيه وحتى يتحرر الجميع من الفساد، فيما بعد، بنعمة القيامة من الأموات. وإذ قدَّم للموت ذلك الجسد، الذي أخذه لنفسه، كمحرقة وذبيحة خالية من كل شائبة فقد رفع حُكم الموت فورًا عن جميع من ناب عنهم، إذ قدَّم عوضًا عنهم جسدًا مماثلاً لأجسادهم]. (كتاب تجسد الكلمة الفصل التاسع).

وقال أيضًا: [وهكذا إذ أخذ من أجسادنا جسدًا مماثلاً لطبيعتنا، وإذ كان الجميع تحت قصاص فساد الموت، فقد بذل جسده للموت عوضًا عن الجميع، وقدمه للآب. كل هذا فعله شفقة منه علينا، وذلك: أولاً: لكي يَبطل الناموس الذي كان يقضي بهلاك البشر، إذ مات الكل فيه، لأن سلطانه قد أكمل في جسد الرب ولا يعود ينشب أظفاره في البشر الذين ناب عنهم. ثانيًا: لكي يعيد البشر إلى عدم الفساد بعد أن عادوا إلى الفساد،

ويحييهم من الموت بجسده وبنعمة القيامة، وينقذهم من الموت كإنقاذ القش من النار] (كتاب تجسد الكلمة الفصل الثامن).

سر الخلاص

إذن ما هو سر الخلاص الذي صنعه الله لأجلنا؟ هو أنه شعر أن الإنسان بعدما أخطأ ندم على خطيته فاستحق أن ينال الخلاص بسبب هذا الندم. وهذه الرغبة في الرجوع إلى الله، وإن لم يحدث هذا يكون الشيطان هو الذي انتصر... الله وضع شبه صورته الإلهية في الإنسان وديعة يعتز بها، والشيطان شوّه هذه الصورة. فهلْ يقف الله متفرجًا؟! وهل يكون الشيطان أقوى من الله؟.. لكن حاشا أن يكون هذا، فقال له الله: أنت شوّهتَ ما هو على صورتي ولكني قادر أن أعيد خلقتها مرة أخرى. حقًا إن الوضع يُحتِّم موت الطبيعة البشرية، والشيطان قال مادام الإنسان قد سقط تحت قصاص الله فلابد من الحُكم عليه بالموت إلى الأبد... موت للجسد مهما عاش، آدم عاش ٩٣٠ سنة ولكن حان الوقت الذي رجع فيه الجسد إلى التراب الذي أُخذ منه، وجميعنا حُتِّم علينا موت الجسد، لكن بالنسبة للروح، قال الشيطان هذا الروح سيأتي عندي في الجحيم إلى الأبد، لا

يوجد فكاك من الظلمة لأن هذا هو الموضع الذي توجد فيه كل الأرواح التي لم تخضع ولم تطاوع صوت الحق بل ذهبَتْ في طريق الظُلمة، الشيطان ضَمن الجولة وضَمن الإنسان في قبضة يده، وظن أنه انتصر على الله في هذه الجولة، وأخذ مثال الصورة الإلهية وشوَّهه، واعتبر أنه كسب مكسبًا كبيرًا. لكن طبعًا الشيطان يفكر هكذا؛ لأن هذا حماقة وكبرياء منه. والله يخطط في هدوء وطول أناة. ويقول الذي يكسب الجولة الأخيرة النهائية هو المنتصر حقًا. هذه هي طريقة الله: ترك الله الشيطان يعمل ما يريده، وهو قد رسم له خطة مُحكمة يعطيه بها ضربة قاضية تكسر سلطانه وتنتهي المسألة.

الرب مستعد أن يفعل أكثر كثيرًا مما نطلب أو نفتكر.. ولكن يلزمنا أن نشعر بحقيقة احتياجنا إليه.. أن نصرخ من أعماق قلوبنا ونناديه.. أن نظل نكافح الأمواج منتظرين مجيئه حتى ولو في الهزيع الرابع من الليل.. ماشيًا على البحر.. متخطيًا كل الحواجز الطبيعية.. منتهرًا البحر والرياح.. مانحًا سلامَه العجيب لكل من ينتظر عمله وعطيته ومحبته التي تفوق كل وصف وتصديق.

إن حكمة الله أقوى من خداع ومكر إبليس، مستحيل أن يكون إبليس أحكم من الله "لأَنَّ جَهَالَةَ اللهِ أَحْكَمُ مِنَ النَّاسِ! وَضَعْفَ

اللهِ أَقْوَى مِنَ النَّاسِ" (اكو ١: ٢٥)، "لأَنَّ حِكْمَةَ هَذَا الْعَالَمِ هِيَ جَهَالَةٌ عِنْدَ اللهِ لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «الآخِذُ الْحُكَمَاءَ بِمَكْرِهِمْ» (اكو٣: ١٩)، فالخطة التي أعدها الله كانت لا تخطر على بال الشيطان، ومن المستحيل أن يتصورها، وحتى إذا عرفها لا يستطيع أن يصدق إمكانية حدوثها، هذا هو سر الدهور المكتوم "السِّرِّ الْمَكْتُومِ مُنْذُ الدُّهُورِ فِي اللهِ خَالِقِ الْجَمِيعِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ" (أف٣: ٩). وأكثر من هذا أنه حتى الطغمات السمائية نفسها لم تكُن تعرف كل ما يتصل بسر الخلاص. لكن هذا قد عُرف حينما صعد السيد المسيح إلى السموات، "لِكَيْ يُعَرَّفَ الآنَ عِنْدَ الرُّؤَسَاءِ وَالسَّلاَطِينِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ بِوَاسِطَةِ الْكَنِيسَةِ بِحِكْمَةِ اللهِ الْمُتَنَوِّعَةِ" (أف٣: ١٠)... عرفت الرئاسات والسلاطين في السموات سر الدهور المكتوم؛ سر حب الله الذي أعد لنا هذا الخلاص منذ الدهور الأزلية "بَلْ نَتَكَلَّمُ بِحِكْمَةِ اللهِ فِي سِرٍّ: الْحِكْمَةِ الْمَكْتُومَةِ الَّتِي سَبَقَ اللهُ فَعَيَّنَهَا قَبْلَ الدُّهُورِ لِمَجْدِنَا" (اكو٢: ٧).

فالإنسان أصبح محكومًا عليه بالموت. الطبيعة التي أخطأَت هي التي يجب أن تموت، هل ممكن أن يفتدينا الله بأنه يرفع القصاص عنا فقط؟ أو يرسل ملاك أو أية طبيعة أخرى؟ الحكم بالموت صدر على الطبيعة البشرية، ولم يصدر على طبيعة ملائكية، ولا صدر على أي كائن آخر إنما صدر على الجنس البشري، والمأساة الكبيرة أن الحكم صدر على الجنس البشري كله، لماذا؟ لأن الذي أخطأ ليس أحد أولاد آدم مثل قايين الذي أخطأ وقتل أخاه، لو أخطأ أحد أولاد آدم لكان بقية أولاده صالحين وكان يوجد فرع صالح في البشر ويمر الأمر هكذا، إنما الذي أخطأ هو الجنس البشري كله مُمثَلاً في شخص آدم وامرأته حواء، فيكون أن كل ثمرة هذا الجنس تحمل نفس الطبيعة، يقول واحد ما ذنبنا في هذا؟! وأن النفس التي أخطأت هي التي تعاقَب! هذا يبدو صحيحًا بالنسبة لنسل آدم وحواء في الأجيال التالية لهما؛ لأنه مكتوب "هَا كُلُّ النُّفُوسِ هِيَ لِي. نَفْسُ الأَبِ كَنَفْسِ الابْنِ. كِلاَهُمَا لِي. النَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ.

الاِبْنُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الأَبِ وَالأَبُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الاِبْنِ. بِرُّ الْبَارِّ عَلَيْهِ يَكُونُ وَشَرُّ الشِّرِّيرِ عَلَيْهِ يَكُونُ" (حز١٨: ٤، ٢٠)، نحن لا نرِث عقوبة الخطية الشخصية، ولكن نحن نرث طبيعة الخطية، حينما يُقال إننا ورثنا الخطية عن آدم؛ تعني أننا ورثنا طبيعة خاطئة؛ هذه الطبيعة تجعلنا نظهر كخطاة أمام الله، حتى وإن كان الله لا يحاسب الإنسان على خطية آدم الشخصية. وفعلاً الله لا يحاسبني عليها، إنما أنا ورثتُ نفس طبيعة آدم التي أخطأَتْ، وهذا ما جعل بولس الرسول يقول عن إنسان ما قبل التجديد: "لأَنِّي لَسْتُ أَفْعَلُ الصَّالِحَ الَّذِي أُرِيدُهُ بَلِ الشَّرَّ الَّذِي لَسْتُ أُرِيدُهُ فَإِيَّاهُ أَفْعَلُ. حِينَمَا أُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ الْحُسْنَى أَنَّ الشَّرَّ حَاضِرٌ عِنْدِي. وَيْحِي أَنَا الإِنْسَانُ الشَّقِيُّ! مَنْ يُنْقِذُنِي مِنْ جَسَدِ هَذَا الْمَوْتِ؟" (رو٧: ٢١،١٩،٢٤)، أنا أفعل الشيء الذي لا أريده أما الشيء الصالح الذي أريده، لا أعرف أن أعمله. "وَلَكِنِّي أَرَى نَامُوساً آخَرَ فِي أَعْضَائِي يُحَارِبُ نَامُوسَ ذِهْنِي وَيَسْبِينِي إِلَى نَامُوسِ الْخَطِيَّةِ الْكَائِنِ فِي أَعْضَائِي" (رو٧:

٢٣) "إِذاً أَنَا نَفْسِي بِذِهْنِي أَخْدِمُ نَامُوسَ اللهِ وَلَكِنْ بِالْجَسَدِ

نَامُوسَ الْخَطِيَّةِ" (رو٧: ٢٥)، إذًا واضح أن الطبيعة فسدَتْ... هذا مصير الإنسان، "الْجَمِيعُ زَاغُوا وَفَسَدُوا مَعاً. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحاً لَيْسَ وَلاَ وَاحِدٌ" (رو٣: ١٢) حتى الأنبياء أخطأوا، لا يوجد ولا واحد عادي مندوب عن الجنس البشري يقدر أن يدخل السماء. لذلك وجب على الجنس البشري كله أن يموت. وفي نفس الوقت لا يمكن أن يترك الله الجنس البشري يموت طالما أن الجنس البشري يطلب الخلاص، يقول له: يا رب أنقِذنا، أسرِع وأعنَّا، "لِخَلاَصِكَ انْتَظَرْتُ يَا رَبُّ" (تك٤٩: ١٨) هذه الآية هي آخر كلمة قالها يعقوب أب الآباء وهو على فراش الموت، ويقول المرنم: "يَا رَبُّ. خَلِّصْنِي يَا إِلَهِي" (مز٣: ٧)، "خَلِّصْنِي مِنْ أَجْلِ رَحْمَتِكَ" (مز٦: ٤)، وإشعياء النبي يقول:

"لَيْتَكَ تَشُقُّ السَّمَاوَاتِ وَتَنْزِلُ" (إش٦٤: ١). لا نستطيع أن نفهم هذه العبارة إلاَّ في ضوء نزول الابن الوحيد من السماء وتجسده وتأنُسّه من القديسة مريم العذراء. ويتوسل النبي إلى الله أن يأتي إلى عالمنا المحتاج إلى الخلاص فيقول "لَيْتَكَ تَشُقُّ السَّمَاوَاتِ وَتَنْزِلُ". كل هؤلاء رقدوا على رجاء الخلاص، منتظرين خلاصك يا رب فهل تتركنا هكذا؟!

الله لا يتجاهل مشاعر مؤمنيه ولا طِلباتهم؛ ولذلك عندما نصلي نقول: "نحن نثق بخلاصك ونعترف بقوتك، نعترف بفاعلية استجابتك، نعترف لك بدمك الذي يطهر ويغفر، نعترف لك بجبروتك واقتدارك أنت الذي تستطيع أن تُخرج من الهوة،

أنت الذي تستطيع أن تحطم متاريس الجحيم، أنت الذي فديتَ شعبك، نعترف لك بخلاصك"

فلا ننسى ولا نقلل من قيمة عمله العجيب في حياتنا.

لا يمكن أن يترك الله الإنسان هكذا، قال الله: سآخذ هذه الطبيعة البشرية المحكوم عليها بالموت، ومثلما كان آدم أب للبشرية كلها وبموت آدم أو بخطية آدم دخل الموت إلى كل الجنس البشري كنسل له، أنا سآتي وآخذ الطبيعة البشرية بلا

خطية وأموت عن الطبيعة البشرية كلها كرأس لجميع المؤمنين، كرأس للكنيسة، فبموتي عن الكل تنتقل الحياة إلى الجميع الذين سوف يولدون الولادة الجديدة في المعمودية بعد إيمانهم "لأَنَّهُ كَمَا بِمَعْصِيَةِ الإِنْسَانِ الْوَاحِدِ جُعِلَ الْكَثِيرُونَ خُطَاةً هَكَذَا أَيْضاً بِإِطَاعَةِ الْوَاحِدِ سَيُجْعَلُ الْكَثِيرُونَ أَبْرَاراً" (رو٥: ١٩)، ربنا يسوع المسيح أصبح أبًا جديدًا للجنس البشري لأن الكتاب يقول: "آدَمَ الَّذِي هُوَ مِثَالُ الآتِي" (رو٥: ١٤) أي السيد المسيح، بمعنى أكثر وضوحًا أن آدم هو أب للجنس البشري كله الذي أخطأ، والسيد المسيح هو أب للجنس البشري كله الذي يَخلُص، إذن آدم هو رأس البشرية كلها وبخطيته دخل الموت إلى الكل، والسيد المسيح رأس البشرية كلها وبإطاعته يَخلُص الكثيرين. يأتي ربنا يسوع المسيح ويتخذ ناسوته بلا خطية من البشرية التي أخطأت وفي شخصه الإلهي يفتديها ويصير رأسها لكل من يؤمن ويعتمد. كيف أصبح السيد المسيح أبًا؟ عندما جاء نيقوديموس للسيد المسيح "قَالَ لَهُ نِيقُودِيمُوسُ: «كَيْفَ يُمْكِنُ

الإِنْسَانَ أَنْ يُولَدَ وَهُوَ شَيْخٌ؟ أَلَعَلَّهُ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ بَطْنَ أُمِّهِ ثَانِيَةً وَيُولَدَ؟» أَجَابَ يَسُوعُ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللَّهِ اَلْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ" (يو٣: ٤-٦)، أَجَابَ يَسُوعُ: «أَنْتَ مُعَلِّمُ إِسْرَائِيلَ وَلَسْتَ تَعْلَمُ هَذَا"!. (يو٣: ١٠) قال له يا رب هذا لغز صعب لا أستطيع أن أفهمه قال له "اَلْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ" أنت ولدت من أبٍ وأُمٍ وورثتَ طبيعة الفساد منهما، أنا قد جئت لأُقدِّم فداءً وذبيحةً عن الجنس البشري، وبذلك يجد الجنس البشري نعمة في عيني الآب فيعطيه روحه القدوس المحُيي والمُخلِّص الذي يستطيع أن يُحيي المائت، فهذه النفوس تتحد معي بشبه موتي، فيموت الإنسان العتيق المحكوم عليه بالموت إنما في سر الخلاص، في قوة الذبيحة غير المحدودة هذه النفس تدفن معي، وتأخذ حُكم الموت معي، وتقوم معي بشبه قيامتي لأني أنا رأس لها، وتتم الولادة الجديدة، ويصير الإنسان مولودًا من فوق، مولودًا

من السماء والسيد المسيح أبًا له، وله الحق أن يدخل معه للملكوت ويرث معه في المجد، لكي ما يكون السيد المسيح أبًا للجنس البشري يجب أن يعطينا ولادة جديدة، وهذه الولادة الجديدة هي الشرط الذي بواسطته نستطيع أن ندخل الملكوت "إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللَّهِ" (يو٣: ٥)، وكما تجسد السيد المسيح بواسطة الروح القدس ومِنْ السيدة العذراء مريم ووُلِد منها. هكذا نحن أيضًا نولد بالروح القدس في المعمودية، الروح القدس يعطينا ولادة جديدة، ما معنى ولادة جديدة؟ هل تعني رمز؟ أم مجرد تغطيس؟... في الحقيقة تتم عملية خلق فعلية، والذي لا يؤمن بهذا يكون غير مسيحي، أو لم يفهم مسيحيته بعد. الذي لا يؤمن أنه هناك عملية خلق فعلّية قد تمت كيف يكون مسيحيًا؟! كيف يقول إني قد صرتُ ابنًا لله، إذن فهي ولادة فعلّية، وإلاَّ تكون المعمودية مجرد رمز، أو كلام فقط... أي واحد يقدر أن ينسب نفسه لأي أحد، إنما هذه ولادة حقيقية يقوم بها الروح القدس كخالق، وأول

صفحة في الكتاب المقدس تدل على هذا بكل قوة وبكل وضوح، "فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ. وَكَانَتِ الأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً وَعَلَى وَجْهِ الْغَمْرِ ظُلْمَةٌ، وَرُوحُ اللهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ، وَقَالَ اللهُ: "لِيَكُنْ نُورٌ" فَكَانَ نُورٌ. وَرَأَى اللهُ النُّورَ أَنَّهُ حَسَنٌ. وَفَصَلَ اللهُ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ. وَدَعَا اللهُ النُّورَ نَهَاراً وَالظُّلْمَةُ دَعَاهَا لَيْلاً. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْماً وَاحِداً" (تك١: ١–٥)، لما كان الروح القدس يرفّ على وجه المياه وكانت هناك ظلمة قال الله بكلمته الإلهية "**لِيَكُنْ نُورٌ**" فظهر النور وظهرَت الحياة، "وَقَالَ اللهُ: "لِتَفِضِ الْمِيَاهُ زَحَّافَاتٍ ذَاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ" (تك١: ٢٠) ففاضَت المياه زحافات، إذًا هذا ما يتم في مياه المعمودية، في مياه الأردن "**رُوحُ اللهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ**" كما رآه يوحنا المعمدان آتيًا من السماء في هيئة جسمية مثل حمامة لكي ينظر يوحنا ويُعلِّم الأجيال كلها "وَشَهِدَ يُوحَنَّا: «إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ الرُّوحَ نَازِلاً مِثْلَ حَمَامَةٍ مِنَ السَّمَاءِ فَاسْتَقَرَّ عَلَيْهِ" (يو١: ٣٢) إن الروح يرفّ، ليس هذا تجسدًا للروح القدس لأن

الروح القدس لا يتجسد، ولكن يقول "وَنَزَلَ عَلَيْهِ الرُّوحُ الْقُدُسُ بِهَيْئَةٍ جِسْمِيَّةٍ مِثْلِ حَمَامَةٍ. وَكَانَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ قَائِلاً: «أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ بِكَ سُرِرْتُ!» (لو٣: ٢٢) يقول **بِهَيْئَةٍ جِسْمِيَّةٍ** مجرد هيئة علامة ليوحنا وهناك فرق بين العلامة أو الهيئة وبين التجسد الحقيقي. ظهر حالاً على رأس السيد المسيح في مياه الأردن لكي يُعلِّمنا يوحنا أن الروح القدس يحل في المعمودية، ويعطي ولادة جديدة للإنسان، إذًا الإنسان الذي يعتمد يُخلق فيه كيان جديد: إنارة، استنارة، قوة القداسة، ليصير على صورة الله وشبهه. هذا لا يستطيع العالم أن يقبله أو أن يعرفه، أي إنسان يعيش في العالم يقدر أن يسعى نحو حياة القداسة، يحاول أن يقتني الطهارة أو الحب، هذه محاولات من الإنسان نفسه أن يصل إلى الحالة الأولى التي خُلق عليها، التي هي حالة البرارة لأنه يشتاق إلى صورته الأصلية، أما الإنسان المسيحي فإنه يحاول أن يُظهِر الكيان الداخلي الذي ناله فعلاً في المعمودية؛ إنسانه الجديد الذي هو **على صورة**

الله ومثاله. وأن يحفظ هذه الوديعة المقدسة ويصونها. هناك فرق كبير بين إنسان يحاول أن يصل إلى صورة معينة، وإنسان اقتنى هذه الصورة وصارت مِلكًا له، وعليه أن يحفظها ويصونها. وذلك حينما قدَّم السيد المسيح ذاته ذبيحة غير محدودة، كفارة غير محدودة عن الجنس البشري كله، وكما اختطف آدم قضية الموت لنفسه ولجميع نسله، اختطف السيد المسيح قضية الحياة له ولجميع أولاده الروحيين. وصار قائدًا لمسيرة الحياة نحو المجد ونحو الملكوت لكل من يطيعه، ولكل مَن يقبل عمله فيه، ولكل مَن يقبل نعمته الإلهية والمُخلِّصة، الإيمان بهذا... بالسيد المسيح كفادي ومخلِّص وهو ابن الله الكلمة، الإيمان بهذا هو التمجيد لله نفسه، وهو أعظم تمجيد لله، ولذلك يقول: "أَمَّا الْبَارُّ فَبِالإِيمَانِ يَحْيَا" (رو١: ١٧) وأيضًا يقول: "بَلْ تَقَوَّى بِالإِيمَانِ مُعْطِياً مَجْداً لِلَّهِ" (رو٤: ٢٠) ويقول: "فَآمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِاللَّهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرّاً" (رو٤: ٣) الإيمان، حينما أُصدِّق أن الله يحبني، وأنه صنع الفداء لأجلي، هذا التصديق

هو أعظم ما يمكن أن يُقدَّم من تمجيد لله. هذا التصديق، وهذه الثقة، وهذا الإيمان، وهذا اليقين، هو أعظم تمجيد يُقدَّم لله؛ لماذا؟ أي عمل نعمله مهما كانت قيمته نحن نعمله كنوع من تسديد دين علينا ليس له أجر، لكن عندما نؤمن بأن الله يحبنا ويحب الجنس البشري كله وقادر أن يخلِّصنا، هذا الاعتراف لله بالقدرة والمحبة والحكمة والقداسة والرحمة، أو بالعدل الرحيم. هذا الاعتراف في ذاته هو أعظم تمجيد يمكن أن تقدِّمه نفس بشرية لله، ولذلك يقول: "فَآمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِاللَّهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرّاً ويقول: "وَأَمَّا الَّذِي لاَ يَعْمَلُ وَلَكِنْ يُؤْمِنُ بِالَّذِي يُبَرِّرُ الْفَاجِرَ فَإِيمَانُهُ يُحْسَبُ لَهُ بِرّاً" (رو٤: ٥)، فالصوم والصدقة والختان وكل أعمال الناس لا تبرر الإنسان، ولكن مجرد أن تؤمن بقوة الله الخلاصية، تؤمن أن المسيح افتداك وافتدى كل الجنس البشري، هذا في ذاته يعطي الإنسان استحقاق أن ينال التبرير، أن ينال العطية الإلهية، وطبعًا لا تكون نعمة، ولا عطية لو كان لك فيها أي دور أكثر من القبول أي بالإيمان والاغتسال في

المعمودية، أقصد أنك لم تعمل أي شيء، إنما الله هو الذي عمل كل شيء لأجلك.

إن الرب ينتظر منا أن نفتح له حينما يقرع.. نستجيب لمحبته.. نقبل سكناه فينا.. نجعل في داخلنا موضعًا لراحته.

جاء الله الكلمة متجسدًا "بِمُقْتَضَى الْقَصْدِ وَالنِّعْمَةِ الَّتِي أُعْطِيَتْ لَنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ قَبْلَ الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ، وَإِنَّمَا أُظْهِرَتِ الآنَ بِظُهُورِ مُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي أَبْطَلَ الْمَوْتَ وَأَنَارَ الْحَيَاةَ وَالْخُلُودَ" (٢تي١: ٩-١٠).... فالمولود من الأب قبل كل الدهور أتى وتجسد من العذراء في ملء الزمان.

أراد أن يُبطل تشامخ الإنسان وكبريائه بأنه ارتضى وتنازل ووُجد في الهيئة كإنسان، لكي يؤكّد لنا أنه وهو الإله ولكنه ارتضى أن يتنازل ويصير مثلنا نحن العبيد. وليس هناك حب أعظم من هذا ولهذا لم تعُد هناك حجة لآدم ولنسله أن يشك في حب الله من بعد ذلك التجسد العجيب "لأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ

الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يو٣: ١٦)...

الله الذي حل في بطن العذراء لكي يأخذ منها جسدًا، يريد أن يحل في أحشائك لكي يملأك حبًا ... إن أفضل مسكن لله هو فيك. بل هو واقف على بابك يقرع لكي تفتح له (رؤ٣: ٢). وهو يعتبر جسدك هيكلاً لروحه القدوس

ويسكن روح الله فيه (١كو٣: ١٦).

من اقوال قداسة البابا شنودة الثالث

ليس فقط في التجسد نرى حب الله لكن نراه أيضًا في الفداء فالتجسد والفداء مترابطان وأحدهما مقدمة للآخر. ولا يمكن أن ننظر إلى طفل المذود دون أن نرى الصليب ساطعًا في جسده. لأجل هذا قدَّم له المجوس ذلك المُر، فإن كانوا قد قدَّموا له الذهب علامة مُلكه واللُبان علامة كهنوته فإنهم قد قدَّموا له المُر أيضًا رمزًا وعلامةً لآلامه التي حملها منذ الطفولة لكي يفتدي البشرية من لعنة الناموس....

فليبارك لنا الرب في هذا العيد وليمنح العالم سلامًا... ذلك العالم المملوء من الاضطرابات والمتغيرات، ذلك العالم الذي يحتاج إلى السيد المسيح؛ لكي يعرف معنى السلام الحقيقي فلنطلب من اللَّه أن يمجِّد اسمه وأن ينشر ملكوته على الأرض لكي يتحقق قول ذلك الجمهور من الجند السمائي "الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الأَعَالِي وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ" (لو٢: ١٤) والسلام الحقيقي هو سلام اللَّه مع الإنسان، حينئذ يعرف الإنسان معنى السلام حينما تتم المصالحة بينه وبين اللَّه... وها هو مصدر سلامنا وقد وُلد أمام أعيننا؛ لكي يمنحنا سلامًا لا يُعبَر عنه ولا ينتهي لكل مَن يقبل حب الله الآب المُعلن بواسطة تجسد ابنه الوحيد مخلِّص العالم؛ فيملك الله على قلبه وحياته ويصير مسكنًا لروحه القدوس.

ϯⲡⲁⲣⲑⲉⲛⲟⲥ ⲙⲁⲣⲓⲁⲙ
ϯⲑⲉⲟⲧⲟⲕⲟⲥ ⲉⲑⲟⲩⲁⲃ
ⲇⲁⲩⲓⲇ ⲡⲓⲡⲣⲟⲫⲏⲧⲏⲥ
ⲥⲟⲗⲟⲙⲱⲛ ⲡⲓⲡⲣⲟⲫⲏⲧⲏⲥ
ⲏⲥⲁⲏⲁⲥ ⲡⲓⲡⲣⲟⲫⲏⲧⲏⲥ
ⲇⲁⲛⲓⲏⲗ ⲡⲓⲡⲣⲟⲫⲏⲧⲏⲥ